

عبد المحسن القيسي

فضل القرآن الكريم على اللغة العربية

Abstract

This article seeks to discuss the virtues of the Quran on Arabic language. The language of the Holy Quran is of utmost sophistication and unsurpassed by human wisdom. To prove this, Allah has challenged human beings to produce just one verse of the same standing of the verses contained in the holy book. The Holy Quran has expanded the usage of the Arabic language beyond the boundary of the Arab Peninsular. Arabic has become a formal language in many non-Arab nations and it could not have been spread without Islam. It has also become the universal language of Islam through the virtues of Quran. Many languages have disappeared after some times, but Arabic language has managed to survive until today because of the Holy Quran. This article has clarified two important things. First, the miracle of the words of the Holy Quran that indicate rationality and second, the Quran has defended successfully its way of life and message. It is also very argumentative in addressing the unbelievers.

١. المقدمة التمهيدية

الحمد لله هادي المستهدين ومُبَصِّرُ المستبصرين، والصلاة والسلام على من أوتي الكتاب ومثله معه وعلى آله وصحبه ومن تبعه، سيدنا محمد النبي والرسول الأمين الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير ما جازى نبياً عن أمته، ورسولاً على حسن أداء رسالته وأن يؤتیه الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة من الجنة، وأن يجزي آله وصحبه ومن تبع هديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين خير ما جازى به عباده الصالحين إن ربي لا يخلف الميعاد.

فالقرآن الكريم بإعجازه البياني جعل اللغة العربية تحيا وتتطور حتى خرجت من إطار المنطقة العربية الضيق إلى إطار أوسع، فتكلم بها الناس في أرجاء العالم وأصبحت إحدى اللغات الرسمية في المنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة. والقرآن الكريم بوصفه كتاب العربية الأول ودستوره الخالد قد لعب دوراً حيوياً في حفظ اللغة العربية وأصولها وقواعدها وآدابها والحقيقة هذا هو الهدف من فكرة المقالة.

وأما الأهمية العلمية لهذه المقالة وقيمتها في العصر الحاضر فهي من جهة العبرة بالماضي في بناء المستقبل مما يصب في بوتقة البناء الحضاري والتطور البشري. وفي أي حديث عن فضيلة القرآن الكريم لا بد لنا من التأكيد على أنه الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظ بين أيدي الناس اليوم بنفس لغة وحية - اللغة العربية ومحفوظاً حفظاً كاملاً بحفظ الله وتحقيقاً لوعده الذي قطعه على ذاته العلية فقال عز من قائل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١.

٢. التعريف باللغة العربية

هناك عدّة تعريفات ومن بينها تعريف ابن جني (ت ٣٩١ هـ) . يقول: (حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^٢ . وهذا تعريف دقيق جداً يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة.

فأكد ابن جني أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما يذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم. فيُعلم أن اللغة هي السلوك الاجتماعي.

كما يعرف ابن خلدون اللغة فيقول: (اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان)^٣.

والحقيقة فليس من السهل تحديد الزمن الذي اتخذت فيه لغتنا العربية شكلها النهائي الذي تصوره فصحي الجاهلية، وهو شكل كامل النضج سواء من حيث الإعراب والتصريف والاشتقاق، أو من حيث التنوع الواسع في الجموع والمصادر والحروف والعطف وأدوات الاستثناء والنفي والتعريف والتنكير والانتها بالممنوع من الصرف إلى نظام تام منضبط مضافاً إلى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظاً كاملاً، وهي الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والغين. وهذه الصورة التامة لفصحاننا لم تصل إليها إلا بعد مراحل طويلة من النمو والتطور. وقد رأى العلماء نماذج منها في نقوش كتبت بأبجدية مشتقة من أبجدية المسند الجنوبي. وهي نقوش الثموديين واللحيانيين والصفويين. ونقوش أخرى كتبت بأبجدية الآراميين. وهي نقوش

٢- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ٣٣/١ تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الهدى بيروت د.ت.

٣- ابن خلدون، المقدمة، ١٢٥٤ تصحيح نصر الموريني، القاهرة بولاق ١٣٤٧هـ.

النبطيين. غير أنها جميعاً لا تصور هذا التكامل الذي انتهت إليه الفصحى. والذي تمثله نصوص العصر الجاهلي منذ أواخر القرن الخامس الميلادي، وأوائل القرن السادس، فهل تم لها ذلك التشكل النهائي مع ظهور الشعر الجاهلي أو أن ذلك تم في حقب أبعد منه؟

ليست الإجابة عن هذا السؤال سهلة ويسيرة، لسبب بسيط وطبيعي، ألا وهو أنه ليس بأيدينا نقوش كثيرة، نستطيع أن نعرف منها بالضبط الزمن الذي يعد بدءاً حقيقياً للفصحى، وحقاً عثر علماء الساميات على نقوش تمتد من أواخر القرن الثالث الميلادي إلى القرن السادس، غير أنها قليلة، ثم هي قصيرة، وأكثرها في أمور شخصية، وليس بينها نصّ أدبي أو نصّ ظويل يمكن أن نتبين في تضاعيفه جملة الخصائص اللغوية لتلك اللغة التي كان يتحدث بها كتبة تلك النقوش، وجميعها على لسان الشخص الثالث الغائب، وليس بينها نص على لسان مخاطب أو متكلم، وهي تخلو خلواً تاماً من الشكل والحركات وحروف العلة وعلامات الإعراب.

ويقول الدكتور إبراهيم السامرائي في نفس السياق "العربية الفصيحة لم نتعرف على بدايات طفولتها، لأنّ النصوص الجاهلية التي وصلتنا تقدّم للدارس نماذج رفيعة، وبالطبع فإنّ هذه النماذج الراقية لا تمثّل الخطوات الطفولية الأولى، فلا بدّ أنّها قطعت مسافات رفيعة طويلة حتى تلقيناها بهذا الوشاح المنسوج بمناول التناسق المضفر بدلالات دقيقة موحية للألفاظ المؤدية للمعاني حقوقها ومن توفر المادة العربية للتعبير عن النواحي المادية وانصرافها إلى المعنويات من الأمور توسعاً ومجازاً"^٤.

وبالبحث في النصوص الشعرية الجاهلية واجدٌ فيها من عيوب النظم شيئاً لا يجده في النصوص الشعرية في العهود الإسلامية، وهذه العيوب تتعلق بالحفاظ على الوزن في الشعر. وهذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها إلاّ بالناحية التاريخية؛ لأنّ هذه النصوص لم

٤- إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ص ٣١، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٦٨م.

تكتمل موسيقاها فهي تمثّل "مرحلة من مراحل التطور الفني من حيث المبنى في القصيدة العربية : وأنت مُلاقٍ شيئاً من هاته المخالفات في شعر طرفة بن العبد كقوله:

كَانَ الْبَرِينُ وَالْدَمَالِيجُ عُلِقَتْ عَلَى عَشْرِ أَوْ خُرُوجٍ لَمْ يَخْضُدْ

وهو كما نراه يجري مجرى البحر الطويل. أو كقول زهير بن أبي سلمى:

رَعَوْا مَا رَعَوْا ظَمَأَهُمْ ثُمَّ أوردوا غَمَاراً تَفْرِي بِالسَّلاحِ وَالدَّمِ

فالبيتان السابقان وغيرهما من الأبيات تشير على أنّ القصيدة العربية الجاهلية كانت في طور التكوين من الناحية الفنية "Technique" وعلى أنّها منتقلة من مرحلة إلى أخرى، وفي كل مرحلة من هذه المراحل تستفيد شيئاً لاستكمال عناصرها الفنية^٥.

هذا حالنا مع الشعر أما مع النثر فلا بدّ من وجوده، فمن الباحثين من يذكر بعض النصوص النثرية القديمة كحِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي التَّمِيمِي، وحِكْمِ عَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ، والأمثال الجاهلية توفّر فيها التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتمثيل، وضروب الموسيقى، وفيها أحياناً صقل وسجع وتنميق، وقد حازت أمثال الجاهليين على استحسان النُّقَّادِ اللاحقين فوصفها الفارابي بقوله: "إنّها أبلغ من الحكمة" وقال ابن المقفع: "إنّها آنق للسمع" في حين يقول النُّظَّامُ إنّها "نهاية البلاغة لما تشمل عليه من حسن التشبيه، وجودة الكناية".

وقد ذهب الجاهليون في خطبهم مذهب التنقيح، ولا ننسى سجع الكُهان وأخيراً الوصايا. غير أن السامرائي يخالف "شوقي ضيف" في قوله: "هذه النصوص النثرية التي نفترض وجودها لم تصل إلينا، إذاً فالباحث في النثر العربي مضطر أن يتدبّر بالقرآن الكريم، ويعدّ نصوص القرآن الكريم بداية هذا اللون الأدبي من الناحية الواقعية، وهو مضطر أيضاً أن يفترض أن النثر العربي لا بدّ أن يكون مرّ بمراحل تاريخية^٦ ولغة القرآن الكريم تدلّ على أدب راقٍ في المبنى، وغزارة المادة اللغوية، والألفاظ الموحية بدقائق

٥- المرجع السابق. ص ٣٣.

٦- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي. ص ٣٤.

المعنى، وخواطر الفكر، وخلجات الوجدان.

والقرآن الكريم طبع اللغة العربية بطابع واضح مبين، وقضى على آثار اللهجات الإقليمية وإلى مثل هذا ذهب المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير إذ يقول: "ومنذ ظهر الإسلام لم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام والتخاطب، ولا لغة إنسانية محضه بل شيئاً آخر، نعم لن نفهم جوهر العربية وكيانها بل لن نستطيع لها فهماً إن نحن أهملنا هذا الحدث القرآني، الذي بفضلته تجاوزت اللغة حدود الإنسانية المحضه"^٧.

وقد ورد أنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قد سمع رجلاً يقرأ (عتى عين) في قوله تعالى ﴿لَيْسَ جُنَّةٌ حَتَّىٰ حِينَ﴾^٨ فقال من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إنّ الله أنزل هذا القرآن عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقري الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل.

ونرى أبا عمرو بن العلاء أحد علماء العربية الأولين، كان يرى أنّ الواجب يدعو المسلم أن يعتبر لغة القرآن ودراسة معاني ألفاظه هدفاً لكل مسلم.

ولم تمح لغة القرآن الكريم اللهجات الدارجة العامية المتمثلة في العربية السهلة المتناول بل إنّ اللغة الفصيحة قد تكونت من تآلف (٤٥) لهجة شاركت كل منها بنصيب قلّ أو كثر في تشييد اللغة النموذجية التي نتحدث بها الآن^٩.

لذا فالعربية الفصيحة (شفعية التعبير) منذ أن كانت على حد تعبير إبراهيم السامرائي. وذلك لأنها تسعف المثقف وتمنحه الجمال والأدب المشذب المهيذب بفصاحتها، وتنحدر إلى مستوى العامة فيستعملونها من خلال (اللهجة المحكية) دون أن تلزمهم بضوابطها - لأنهم لم يقوموا ألسنتهم سابقاً - فيتحللون من الإعراب ومن بعض الألفاظ، وربما تعكزوا على كلمات بعيدة عن العربية، تسربت إليهم من خلال اتصالهم بالشعوب الأخرى، والاتصال مستمر استمرار الإنسانية، والحقبة التاريخية عبر التخوم

٧- إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ص ٣٣.

٨- سورة يوسف: ٣٥.

٩- التهامي الهاشمي، بعض مظاهر التطور اللغوي، نشر دار النشر المغربية ص ١٠ وما بعدها.

السياسية والحروب والتزاوج والهجرات.. وهذا هدف رئيس دفع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى جمع القرآن الكريم ليجتمع المسلمون على قراءة واحدة وينبذوا ما هو منافٍ لما أُنْفِقَ عليه.

وزبدة القول فإنّ الحدث القرآني العظيم قد عمل على توحيد العربية التي كانت حصيلة (٤٥) لهجة فشذّب ونقّح وأبعد.. ثمّ طبّعها بطابع خاص فيه الشمول، وفيه العموم بحيث تيسر لهذه اللغة أن تكون لغة العرب عامة، وأنها تغلبت على الكثير من اللهجات السائرة، بيد أنها لم تعفُ عليها.

وقد سارت اللغة الفصيحة متهادية عبر العصور الإسلامية، نامية حيّة في بناء حضارة عربية إسلامية أصيلة وأدّت الدراسات اللغوية والنحوية إلى استكشاف إمكانات هذه اللغة ومقوماتها الذاتية التي تجعل منها لغة مرنة قادرة على هضم وتمثل كل ما هو جديد، فضلاً على كونها خالدة بخلود الذكر الحكيم، وإنّ خصائصها الذاتية في الاشتقاق والنحت والإبدال والنقل والمجاز والاقتراض والتعريب، تجعل منها لغة قادرة على استيعاب ما يرُدُّها من مستجدات، وبذلك شرّعت أبوابها ونوافذها على مصاريعها في مجالات من المعاني، ومثال ذلك القياس لأنّ الأخذ بسنة القياس لما في القياس من عوامل النحو أمر واجب^{١٠}.

ولا شك أنّ القياس يمنح المقدرة الاستيعابية لمعاني التعامل مع الأدوات المستحدثة التي تلج حياة الناس في كل يوم بالمئات. فالعربية تمتاز بخصائص لغوية تجعل منها لغة غنية تستطيع أن تسير التطور الحضاري والفكري، بدليل أنّ العربية استطاعت في العهود الإسلامية المختلفة أن تستوعب الفكر الدخيل، وأن تعبر عنها بلغة فصيحة^{١١}.

١٠- أنيس فريجة، نظريات في اللغة الألسنية. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، ص ٦٩.

١١- المرجع نفسه. ص ٦٨.

٣. تطور الخط العربي بسبب الإسلام العظيم

انطلق الخط العربي بانطلاقة الإسلام، فقد دُوِّن به القرآن الكريم، وكان يفرش بساطه حيث يحل الفاتحون، مرشدين وهادين إلى الحق. فكان حظ الخط في تلك الحقبة سامياً عالياً، منتصباً أينما حلَّ، وأنى ارتحل^{١٢}.

وبادتْ حظوظ الأمم المغلوبة في حين امتدت البلاد الإسلامية من بلاد ما وراء النهر في تركستان إلى المغرب الأقصى بشمال أفريقيا غرباً، وظهرت عبقریات فذة من فناني الخطوط الذين حافظوا على الطابع الإسلامي حينما حلّوا، بل لقد امتدت أشعة الحرف العربي إلى أنحاء لم يحكمها العرب كالجزيرة الإيبيرية، وحتى استعان به المستعربون واستعملوه للكتابة اللاتينية نفسها، فهذا (ألفونس) يسكُ نقود بلاده بالعربية، وذاك بطرس الأول المتوفى عام ١١٠٤م من ملوك الأرغوان لا يحسن إلا العربية كتابة وخطاً.

وبعد سقوط غرناطة كان للموريسكو (المسلمين الذين لم يغادروا البلاد) لهجة رومانية (وهي محرّفة عن اللاتينية) لكنهم ظلوا يستخدمون الحرف العربي لكتابة ما يريدون التعبير عنه بلهجتهم، وقد أطلقوا على أدبهم هذا اسم "الجمياد" Aljamiado وهو محرف عن لفظ (أعجمي) يُسمى به في العربية من ليس بعربي.

فالخط العربي مرّ بجميع مراحل، يوم كانت الكتابة يدوية، حتى انطلق في الآفاق الإسلامية غير العربية، لأن صورة الحرف العربي مرتبطة بكتابة القرآن الكريم^{١٣} وقد أكدّ أرنست كونل أنّ الإسلام هو مخّ العرب واللغة والخط، فانتشر الخط العربي في العالم الإسلامي، وأصبح رابطة لجميع الشعوب الإسلامية، رغم الحدود الحاضرة، فغدا الخط العربي عنصراً مهماً من عناصر الزخرفة الجميلة، وقد قام بجولات لا نهائية مفروشة بالعزّ والمجد والفخر، وترك أروع فن يُعتبر من الفنون التليدة الطريفة. فهو فن

١٢- محمد طاهر عبد القادر الملكي الخطاط، تاريخ الخط العربي، القاهرة، بلاط، ١٩٢٩م، ص ٦٠.

١٣- سعد الله عويضة، الخط العربي، لبنان، مطبعة الشماخ، ١٩٦٩م، ص ٤٥.

مزدهر بتقلب العصور، كما تزدهر الشجرة حيث تغير تربتها. وأينما سار هذا الخط وترحل حفت به آيات الإعجاب والتقدير مما دعا (مارسيه) يقول عن قصر إشبيلية: "إنه رغم الترميمات التي أدخلت عليه بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ما ينفك يكشف عن مشاركة الفنانين الغرناطين، ويؤكد بصورة قاطعة تأثير طابع الفن الإسلامي على الملوك المسيحيين"^{١٤}. فطالما أن الخط العربي له سحره الخاص، وطالما أن غير العرب قد كتبوا بالخط العربي وفضلوه على خطهم اللاتيني، وأحلّوه المرتبة الأولى، لما تلمسوا فيه من الجمال والروعة والسحر والفن.

وهكذا يبدو واضحاً وجلياً فضل القرآن الكريم وعلومه الشريفة وأثره على لغة العرب أعمق الأثر والذي بدلت مفاهيمه الأشياء والسمات والخلائق لكل مظهر، وقلب الحياة من حال إلى حال، وحملها أعباء جديدة وأناط بها رسالة جديدة، فانطلقت تؤيدها في صبر واستجابة ومضت تنهض بها في سماحة ويسر، متشحة بما تستلزمه من أدوات وما تلبسه من دروع واقية وحلل براقة وأسلحة جديدة، بعدما طافت بها من الأحداث والعواطف القاتلة ما يبعث فيها الموت ويسلط عليها الفناء وقد واتها أسباب الحياة يقظة، وعناصر القوة والنماء، ذلك لأن كل لغة هي ترجمان القلوب وحديث النفوس، والأداة المعبرة عما تنطوي عليها الضمائر والفكر والخواطر. وبديهي أن كل لغة تخضع لنواميس الوجود وتمر بها ألوان شتى من ضعف إلى قوة ومن جمود إلى حركة وتوثب ومن انتكاس إلى تقدم وانتعاش. ثم نرى اللغة العربية بفضل القرآن جاءت بأعظم الآثار البلاغية التي عرفتتها العربية على الإطلاق ممثلة هذا في لغة القرآن الكريم رسالة السماء إلى البشرية جمعاء، ثم الحديث النبوي الشريف، فكان أن أحدثت كل مقومات الحياة الروحية والأدبية والعقلية.

٤. الفضيلة البيانية برهان النبوة

الفضيلة البيانية للقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، ونهج أساليبهم في التعبير، وتميّز بضروب كلامهم في الإيجاز والإطناب، والحقيقة والمجاز، وما إلى ذلك من ألوان، ومع كل هذا فقد فاقهم بلاغة وبياناً، فتحداهم، وهم أهل الفصاحة وأرباب البيان، بأسلوبه الرائع.

وكان معجزة الرسول الكبرى، ودليله على صحة نبوته، وللقرآن الكريم أبلغ الأثر في الحفاظ على الأدب العربي، سواء في الألفاظ أو المعاني أو التراكيب أو الصور. واحتذى الشعراء والكتاب تلك الألفاظ والمعاني، ونهجوا على طريقة تراكيبه وصوره. كما أنه هذب لغة العرب وشذّبها، فأكسبها كثيراً من السلاسة والعذوبة ووحد لهجاتهم المتعددة المتنوعة في لهجة فصيحة واحدة، هي لهجة قريش التي نزل بها الوحي على سيدنا النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وأشاع القرآن الكريم لغة العرب في أرجاء واسعة من العالم حيث صار يتكلم بها من دخل في الإسلام، وأصبحت اللغة التي يتكلمون بها ويكتبونها^{١٥}. وكان سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام يجهد نفسه الشريفة في متابعة جبريل عليه السلام حتى لا يتفلس منه حرف واحد فنزل الوحي الكريم مؤكداً له أن الله تعالى قد تعهد بجمع القرآن الكريم كما أنزل وبنفس ترتيب المصحف الشريف وحفظه في صدر الرسول وعلى لسانه، وفي صدور الحفاظ من بعده وعلى ألسنتهم إلى يوم الدين، وأنه تبارك وتعالى قد تعهد ببيان معانيه لخاتم أنبيائه ورسله وللمن يشاء من صالح عبادته إلى قيام الساعة فقال ربنا تبارك اسمه موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ﴿لَا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ

١٥ - محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص ٣٧، طبع دار المعارف بمصر د.ت.

لَتَعَجَّلَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٦﴾

لقد نزل القرآن هذا الدستور الإلهي الخالد، بلغة العرب فأعطائها مثلاً في الصياغة اللغوية كانت به بين اللغات مثلاً فريداً في الإعجاز اللغوي. وفي ضوء هذه الحقيقة نحكم للغة العربية بمغايرتها لسائر اللغات. واللغة من الأمة وعاء حضارتها، وأساس وحدتها، ومرآة مستقبلها، فكيف إذا كانت إلى جانب ذلك لغة قرآنها الكريم الذي تبوأ الذروة فكان إعجاز لغتها القومية، ومستودع عقيدتها الدينية.

٥. القرآن كتاب العربية الأول

لقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من الضياع وهذا واضح في آيات الذكر الحكيم والتي تؤكد عروبة ألفاظه قال الله تعالى كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾. والقائل ﴿الرَّ كَتَبْتُ أَحْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١٨﴾. والقائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿١٩﴾. والقائل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾.

وعن سيدنا النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم: (أشرف أمتي حملة القرآن) ﴿٢١﴾. والقائل: (القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده) ﴿٢٢﴾. والقائل: (إن هذا

١٦- سورة القيامة: ١٦ - ١٩.

١٧- سورة فصلت ٣.

١٨- سورة هود ١.

١٩- سورة فصلت ٤٢.

٢٠- سورة الإسراء ٩.

٢١- أخرجه الطبراني. في المعجم الكبير ١٢٥/١٢ رقم الحديث ١٢٦٦٢ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٥/٧.

٢٢- أخرجه أبو يعلى في المسند ١٥٩/٥ رقم الحديث ٢٧٧٣ والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٥/١ رقم الحديث ٧٣٨ كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٩/٧.

القرآن مأدبةُ الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم^{٢٣}. وقال: (حملة القرآن المخصوصون برحمة الله، المُعَلِّمُونَ كلام الله، المقربون إلى الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ويدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا، ويدفع عن قارئ القرآن بلاء الآخرة)^{٢٤} وقال عليه الصلاة والسلام (يا حملة القرآن تحببوا إلى الله بتوقيع كتابه يزدكم حباً ويحببكم إلى عباده)^{٢٥}.

وعن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تغنى عجائبه، ولا تنقضي غرائب، ولا تكشف الظلمات إلا به، وهو أمرٌ زاجرٌ، وصامتٌ ناطقٌ، وحجة الله على خلقه، أنزله الله نوراً لا تطفأ مصابيحُه وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، جعله الله رياً للعلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحتاجٍ لطرق الصلحاء ودواءٍ ليس بعده داء، وهو كتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، وبيتٌ لا تهدم أركانه، وعزٌّ لا تهزم أعوانه)^{٢٦}. فالقرآن كتاب العربية الأول هو كتاب البلاغة والفصاحة، فلنسأل مصادر البلاغة عن معنى الفصاحة التي جاءت منها الفصحى، فمصطلح "الفصاحة" من المصطلحات الشائعة التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالكلمة والكلام والمتكلم، الفصاحة لغة: البيان - يقال: أفصح الرجل فصاحةً فهو فصيحٌ، وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق. وعلى هذا فكلمة "الفصاحة"

٢٣- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٧٤١/١. وأخرجه الدارمي في سننه في باب فضائل القرآن رقم الحديث ٣١٨١ وعبد الرزاق في المصنف ٣٧٥/٣ رقم الحديث ٦١٧. جميعهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

٢٤- أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ١٣٥/٢ من حديث أنس. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢٦٠/٣ من حديث محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما وأورده السيوطي في جامع الأحاديث ٤٨١/١٨.

٢٥- أورده السيوطي في جامع الأحاديث ٣٨٨/٥ و٤٨١/١٨ والهندي في كتر العمال ١٢٦/٢ من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

٢٦- الدارمي في فضائل القرآن رقم الحديث ٣١٩٧ والإمام أحمد في المسند ٩٢/١ من حديث الحارث بن عبد الله الأعور عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ١٥٣/١.

يدور معناها حول "البيان والظهور". وكلمة الفصاحة وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم والحديث الشريف، قال تعالى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^{٢٧} وقال عليه الصلاة والسلام: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"^{٢٨}. وقالت العرب: جمال الرجل فصاحة لسانه، فالفصاحة تشمل الكلمة والكلام والمتكلم، فيقال: كلمة فصيحة وكلام فصيح ومتكلم فصيح. وتكون الكلمة فصيحة إذا كانت مألوفة الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لأنها لم تتداولها ألسنتهم ولم تجر بها أقلامهم إلا لمكانها من الحسن باستكمالها عناصر الجودة وصفات الجمال. والذوق السليم هو الأساس في معرفة حسن الكلمات وسلاستها وتميز ما فيها من أوجه القبح ومظاهر الاستكراه. وفصاحة المتكلم هي ملكة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحاً عما يجري بخاطره، وما يحسه في قرارة نفسه من الأغراض، في أي فن من الفنون كالمدح والذم والعتاب والفخر وما شاكلها. ذلك لأن السلوك اللغوي المثالي ربما يفوق السلوك الاجتماعي من حيث صعوبة تجسيده، فالفرد يتعلم كثيراً من جزئيات السلوك اللغوي المثالي ولا يكتسبها اكتساباً لا شعورياً، كما أن احتمالات الخروج عن هذا المستوى المثالي كبيرة، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن الجزئية اللغوية قد يعدها العلماء فصيحة في حين أنها ليست كذلك عند آخرين، والدليل على صعوبة تجسيد المثال اللغوي الفصيح، هو أن الجميع متفقون على أن القرآن الكريم خير تجسيد للفصحى ومع ذلك فإنهم في سلوكهم اللغوي لا يحتذون أسلوبه، إذ يعد ذلك محاكاة للنص القرآني على طريقة مسيلمة الكذاب وأمثاله. رغم كثرة الدراسات العربية التي قامت خدمة للقرآن الكريم فإن علماء العربية قديماً وحديثاً غاب عنهم كثير من خصائصه اللغوية، ومن هنا خَطُّوا ظواهر لغوية كثيرة وهي موجودة في القرآن الكريم، بل إن من النحويين من وصل إلى

٢٧- سورة القصص: ٣٤.

٢٨- صحيح مسلم، ٣٧٢/١، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت د، ت.

درجة تلحين بعض القراءات المتواترة. والعربية المعاصرة الفصحى هي فصحي العصر الذي نعيشه، فهي السجل المكتوب لثقافة العصر، وصلة العربية المعاصرة بالفصحى المثالية مثل صلة الابن بأبيه، يحمل الابن صفات وراثية وثقافية عن الأب ويختلف عنه في أنه يعيش في زمن غير زمن أبيه، واختلاف الزمن يحمل في طياته اختلافاً في الرؤية والتفكير وفي أمور الثقافة جميعاً^{٢٩}.

٦. تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية

مما لا شك فيه أن اللغة لا تشب عن أطوار أهلها متى كانت من غرائزهم، وإنما تكون على مقدارهم ضعفاً وقوة. ذلك لأن اللغة هي الصورة الناطقة وأهلها صورتها المفكرة، فاللغة عبارة عن ألفاظ معاني العرب، لذلك هم كل لا يتجزأ ولا تزيد عليهم ولا ينقصون عليها ما دام رسمهم لم يتغير وما دامت عاداتهم لم تنتقل. فلقد جمع القرآن الكريم العرب على لغة واحدة، ذلك لأن القرآن الكريم نزل على فطرة العرب بالرغم من تعدد اللهجات آنذاك إلا أنه كان أبين لغة مما جعلهم يتوحدون على هذا الكتاب الكريم، بما استجمع في لغته من محاسن فطرة العرب جميعاً التي يرونها كملاً لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية. ولو رجعنا إلى ما قبل نزول القرآن الكريم لعلمنا أن كل قبيل من العرب كان يتوهم أنه أسلم فطرة في اللغة وأبين، لأنهم لا يجدون من ذلك إلا أمثلة ترجع إلى الفطرة وتختلف باختلافها. ومن أعضل الأمور وأشدّها التباساً قياس قدرة قوم من العرب وعجزهم في اللغة خاصة إذا كان أمر اللغة فيهم يعود إلى السليقة والفطرة، فإن من أراد أن ينتصب لذلك وحاول فهو لا بد مخطئ وغير قادر على تعيين المراتب في المقدار المفضل، ثم هو مخطئ في تميل الحكم بين المقدارين ولا يجيء من رأيه إلا بما تعرض فيه الخصومة أو تطول. لأن قياس مثل ذلك لا يتهيأ إلا بعمل

٢٩- إبراهيم بيومي مذكور، في اللغة والأدب، مجلة اقرأ العدد ٣٣٧ سنة ١٩٧١م.

يحتوي كل دقائقها وما يمكن أن تبلغ إليه من الكمال المطلق الذي هو الحد الأعلى في طبيعة تركيبها، ومثل هذا لا يكون إطلاقاً من إنسان ينزل على حكم هذه الفطرة نفسها والسبب هو القاعدة القائلة (فاقد الشيء لا يعطيه). فلو أن العرب لم يجتمعوا على لغة القرآن الكريم - لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد، حتى تنتقض الفطرة وتفسد الطباع ثم يصير مستقبل هذه اللغة إلى الانقراض والعفاء من غير شك ولا ريب. مع الإشارة إلى أن أي لغة من اللغات لا تحيا ولا تموت إلا بحسب اتصالها بمادة العلم، لأن العلم وهو حياة أهل هذه اللغة وموتهم وهي لا يلبسها العلم وتحيا به إلا إذا كانت جميلة زاهية محكمة، لا تضيق عن أنواعه وفروعه، ولا ييلها الاستعمال، ولقد ورد ذكر فضل القرآن الكريم في المحافظة على شباب اللغة العربية ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ ٣٠.

ومما تقدم يتأكد لدينا أن القرآن الكريم كتاب العربية الأول ودستور الإسلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بالرغم مما بلغت اللغة العربية من الرقي، إلا أن القرآن الكريم انفرد بما هو أبلغ وأفصح. بماذا ينفرد القرآن الكريم؟ ينفرد القرآن الكريم من بين المعجزات السماوية بأمرين بارزين:

أولهما: أن معجزته هي (الكلمة) التي يعرف الناس مدلولها، يأخذون ويُعطون بمفهومها، وأن الإعجاز سر مضمَر فيها، تهتدي إليه العقول، وتتعرف عليه البصائر، وليس في المعجزات التي سلفت ما جاء على هذه الصفة، إذ كانت كلها معجزات

حسيّة، يخرج الإعجاز منها على الناس في صورة ملموس من صور الأحداث الكونية التي لا تقع في قدرة بشر، ولا تجيء إلا بدعوة من نبي أو رسول، متحدّياً أو مستجيباً لدعوة تحداه.

وثانيهما: أن القرآن الكريم قد تولى بكلماته تلك، الدفاع عن دعوته، وإقامة الحجة لها، وأنه بتلك الكلمات قد اشتبك في حرب طاحنة مع أعداء الدعوة، والمتربصين بها، وأنه أقام من هذه الكلمات سيوفاً مُصلّية، ورماحاً مُشرعة، وسهاماً مرسلة، تضرب فتقطع، وتطعن فتفري، وترمي فتبيد وتُبِير، وقبل القرآن لم يرَ الناس (الكلمة) تلقاهم محاربة مقاتلة، فتنال منهم وتصيب مقاتلهم، وتقتل دواعي الكبر والغرور فيهم! نعم ما رأى الناس قبل القرآن (الكلمة) تُجلي الناس عن عقائدهم الموروثة، وتخرجهم عن عاداتهم المألوفة، ثم تقودهم إلى حيث تشاء فينقادون، وتدعوهم إلى حيث تريد فيستجيبون!

نعم كان بين العرب وبين كلامهم تعاطف وتفاعل، فتسحرهم الكلمة البليغة، وتأسرهم الحكمة الصائبة، ولكن كل ذلك لا يعدو أن يكون عاطفة تأثرت ببلاغة الكلمة، كما تتأثر بروائع الحسن، ومطالع الجمال، ثم لا يكون منها أن تستولي على الإنسان كله، وتخرجه عن وجوده، ولا أن تنقض كيانه حجراً حجراً ثم تعيد بناءه! أما كلمات القرآن فإنهن قد هدمن وبنين، وأمتن وأحيين، وأسعدن وأشقين!!

إنهن كلمات الله، بهن كانت معجزة الرسول، وبهن وقع الإعجاز، فعلياً أن ننظر في هذا الكلام العربي المعجز، الذي انتصبت منه قوى متحركة عاملة، تنتصر في كل مجال من مجالات الحياة، في السلم وفي الحرب على السواء! ^{٣١} فلقد سبقت

٣١- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية، للدكتور تمام حسان، ص ٣٨، القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

مشيئة الله تعالى أن يكون القرآن العظيم آخر الكتب المنزلة لهداية البشر، كما شاء سبحانه أن ينزله بلسان عربي، ووصفه بقوله ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾.

وهنا نود أن نبين بين يدي الحديث عن معجزة القرآن الكريم البيانية ونهوض القرآن بخصائص اللغة العربية التعبيرية أن نقول شيئاً ضرورياً عن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، والتي هي لغة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، فكثيرة هي الإشارات في القرآن الكريم التي تقرر حقيقة نزول القرآن بلسان عربي مبين. ومن هذه الإشارات قول الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣٣. وبما أن إرادة الله تعالى اقتضت ألا يبعث رسولاً إلا بلسان قومه، وقد جاء في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٤ فقد كان طبعاً أن يُصطفى سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام من سكان الجزيرة العربية الذين ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون. والمعروف أن القرآن العظيم الذي نزل بلسان عربي مبين، قد جاء مستعملاً ذات الألفاظ والتراكيب التي كان العرب يستعملونها ٣٥ في كلامهم المحبّر والمرتل. وهذا معناه أن القرآن العظيم قد نهض بخصائص اللغة العربية ومميزاتها، ولم يقصرها وقتاً من الأوقات على أن تسير في غير الخط الذي كانت تسير فيه. وهذه الحقيقة معمقة لإعجاز القرآن العظيم، لأن المعتقد أن العربي الذي يقع القرآن الكريم على مسمعيه، متحدياً له بأن يأتي بمثل هذا القرآن الكريم، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة مثله، أو من مثله، من الجائز أن يسبق إلى روعه لأول وهلة الاعتقاد بقدرته على أن يأتي بمثل هذا القرآن، وليس بسورة واحدة فقط من مثله، لأن الكلمات التي يسمع، هي ذات الكلمات التي يعرف،

٣٢- سورة الشعراء ١٩٢-١٩٥.

٣٣- سورة يوسف ٢.

٣٤- سورة إبراهيم ٤.

٣٥- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ٣١٤، الطبعة السادسة بتحقيق الأستاذ محمد رشيد رضا، القاهرة ١٩٥٩.

ولأن التراكيب هي ذات التراكيب التي يستعمل. ويكون عجزه عن الإتيان بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم الطويلة والقصيرة، مثار ألم وحسرة شديدين.

وربما كان مفيداً أن نقرر حقيقة مهمة، وهي أن قوم سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى، كانوا أفصح العرب بلا منازع ولأسباب متعددة، رضي كل سكان الجزيرة العربية التي تعتبر أكبر شبه جزيرة في الدنيا، وهم الذين يعتبر الخلاف ديدنهم، رضوا بأن تكون لغة قريش، وهي القبيلة التي بعث فيها سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، بعد ذلك لغة أدبية لهم أجمعين، يجبرون فيها ما تجود به قرائحهم من رائع القول، وساحر النظم، وبالإضافة إلى الفصاحة التي عرفت بها قريش والتي اعترف لها كل العرب بنيل قصب السبق فيها، فلقد كانت أكثر القبائل العربية ملائمة لقبول التحدي بالقرآن الكريم، لو كان القرآن الكريم مما يمكن الإتيان بمثل سورة واحدة منه، بسبب ما استقر في نفوس أفرادها، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، من عداء لدين الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من ربه سبحانه وتعالى. وبسبب هذين العاملين، عامل الفصاحة والعداء لدين الإسلام، اللذين تفوقت فيهما قريش على سائر القبائل العربية، يعتبر عجز قبيلة قريش، التي يمكن أن تنزل منزلة القبيلة النموذجية خلال العصور، في مجال الاحتمال لقبول مبدأ التحدي القرآني، يعتبر عجز هذه القبيلة إعلاناً عن عجز الإنسانية، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، عن قبول مبدأ التحدي القرآني، والسبب في ذلك هو أن الرعيل الأول من القرشيين، الذين عاصروا مراحل نزول القرآن العظيم على سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، لم يذهب بذهابه فقط الدافع النفسي لقبول مبدأ التحدي، إنما ذهب كذلك بذهابه تلك الميزة التي كانت تتيه بها قريش على سائر القبائل العربية، في مجال الفصاحة والبلاغة. فبسبب ذهاب ذلك الرعيل واختفائه من الوجود، اختفت معه، وإلى الأبد، تلك المهارات اللغوية، والتي يعبر عنها بالسليقة اللغوية.

وإنَّ أهم مقومات هذه بالسليقة اللغوية أمران: الأول تطبيق ظاهرة الإعراب تطبيقاً كاملاً بطريقة عفوية، لأنه لم تكن هناك طريقة أخرى للتعبير سوى الطريقة التعبيرية التي أطلق عليها العلماء (اسم الفصحى) والثاني الفطنة الفطرية للعلاقة المعنوية الدقيقة بين اللفظ العربي وما وضع اللفظ دليلاً عليه، بين الاسم والمسمى. فعلى سبيل المثال، كان العربي يلمح بالسليقة في إطلاق لفظ السماء أهم صفاتها السمو والعلو. وفي الخيل الخيلاء. وفي الدار الاستدارة. وهكذا دواليك. وأنه بسبب احتكاك العرب في فجر الإسلام بغيرهم ذهب السليقة اللغوية إلى غير رجعة. ومن العجيب أنها ذهبت ابتداءً من عاصمتي الإسلام الثقافيتين الكبيرين، مكة المكرمة مهد القرشيين قوم سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، والمدينة المنورة، البلد الذي هاجر إليه سيدنا النبي والمسلمون.

٧. المفاهيم القرآنية وصلتها بالتراث العربي

للرقم سبعة بمرتبة الآحاد أدوارٌ عجيبة في الكلام وفي الحياة. فالعرب على سبيل المثال، يطلقونه ويريدون به أحياناً مجرد الإشارة إلى الكثرة في مرتبة الآحاد. وهو وراء ذلك ترتبط به مجموعة من الحقائق التي لا يدرك الإنسان كنه بعضها كالسماوات السبع، بينما أدرك كنه البعض الآخر بيسر أو بشيء من الجهد. فعلى سبيل المثال، قوس قزح فيما يقال، يتكون من سبعة ألوان هي على الترتيب: البنفسجي، النيلي، الأزرق، الأخضر، الأصفر، البرتقالي، الأحمر. وسُلم الصوت يتكون من سبع درجات، وأيام الأسبوع سبعة. وإذا مرّت على السليم، أي اللديغ سبعة أيام استبشر العرب، في ضوء تجاربهم، بنجاته من الموت بالسم الذي سرى في جسده^{٣٧}.

وإن هذه الملابس التي أحاطت بهذا الرقم سبعة. تذكرناها ونحن نتدبر جوانب الإفصاح عن المعاني في اللغة العربية ومراتبه، فقد فوجئنا بأن تلك الجوانب يصح أن تكون موافقة لذلك الرقم. ونعترف ابتداءً بأن هذه الدرجات السبع، من الجائز

٣٧- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألوسي، ١٢٣/٣. دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ د.ت.

أن يرتفع عددها مستقبلاً، ولكنها الآن سبع بالتمام والكمال. وهي تتجه من اللفظة المفردة إلى الجملة أو العبارة. وتنتهي بوحدة النص العضوية أو الموضوعية. ونبين كذلك ابتداءً بأن هذه الدرجات السبع تبدو أوضح ما تكون في القرآن الكريم. ولعل من المفيد أن نقرر بين يدي ذكر هذه الجوانب السبعة أن الثلاثة الجوانب الأولى منها تتعلق باللفظة المفردة، وأن الجوانب التالية تتعلق باللفظة المنظومة مع غيرها في جملة أو عبارة. وهذه هي الجوانب السبعة بإيجاز.

أولاً - المعاني

١. المعنى اللغوي للفظ المفرد.
٢. المعنى الاصطلاحي أو الوضعي أو الصناعي، للفظ المفرد.
٣. العلاقة المعنوية في اللغة العربية باعتبارها لغة اشتقاقية، بين الاسم والمسمى، بين اللفظ وما يوضع اللفظ دليلاً عليه.
٤. مرتبة الفصاحة في اللغة العربية. وضابط هذه المرتبة هو علم النحو الذي يخضع الكلام لقواعده كي يكون صحيحاً وفصيلاً.
٥. مرتبة البلاغة في اللغة العربية المرتبطة بعلمي المعاني والبديع أساساً، وبشأن هذه المرتبة ترتب المعاني في النفس وفق رغبة هذه النفس التي تختار بعد ذلك الألفاظ المعبرة اختياراً تلقائياً وترتبها ترتيباً فطرياً وفق ترتيب المعاني في النفس. وهنا تكون الإفادة الواضحة من روح النحو العربي أو من ظاهرة الإعراب المطردة في اللغة العربية، والتي تتيح للألفاظ قدراً كبيراً من حرية الحركة في الجملة أو العبارة تقدماً وتأخيراً، مع احتفاظ اللفظة بموقعها الإعرابي في سياق الكلام. وبسبب هذه الحرية في الحركة تتمكن النفس من التعبير عن المعاني وفق ترتيبها أساساً فيها. ويأخذ الكلام في الارتفاع بدرجات البلاغة صعوداً حتى يصل إلى مرحلة الإعجاز المرتبطة بالقرآن الكريم. وقد

أطلق الإمام النحوي والبلاغي الأشهر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ على هذه الظاهرة نظرية النظم وقد أقام عليها كتابه العظيم دلائل الإعجاز الذي يحاول أن يبين فيه عن طريق هذه النظرية السبب في إعجاز القرآن الكريم. وهنا تتجلى الحقيقة اللغوية الباهرة من كون اللغة مجموعة علاقات، إذ تكتسب اللفظة بعد نظمها في جملة أو عبارة معاني أخرى ودلالات أخر.

٦. المعاني الثانوية التي تكتسب من موضوعات علم البيان في اللغة العربية، وهي التشبيه والتشبيه التمثيلي والكناية والاستعارة. فالبلاغة ليست في المعاني الأولية القريبة ولكن في المعاني الثانوية البعيدة، بل الشديدة البعد أحياناً.

٧. وحدة النص العضوية أو الوحدة الموضوعية للنص. وإن كلاً من هذه الجوانب بحاجة منا إلى أن نقف عنده بعض الوقت. وبما أن اللفظة المفردة ثلاثة جوانب ولللفظة المنظومة ثلاثة ميادين. ميدان اللفظة المفردة. ميدان اللفظة المنظومة. ميدان الوحدة العضوية أو الموضوعية للنص.

ثانياً - اللفظة المفردة

إنه فيما يتصل بالمعنى اللغوي للفظ المفرد، فمن البين أن هذا الجانب قريب التناول. لأن كل لفظة يصح أن تقوم بهذا الدور وأن تتخذ النموذج المختار الدال على الألفاظ الأخرى من أجل هذا الهدف. وفيما يتصل بحفظ القرآن الكريم من هذا الجانب يكفينا أن نقول بأن القرآن هو النص الذي يتحقق لكل ألفاظه، لو نظرنا إلى كل لفظة على حدة، وجدنا كل شروط الفصاحة.

٨. أضاف القرآن الكريم معاني جديدة للغة العربية: ونضيف إلى ذلك كله بأن القرآن الكريم خصوصاً، والإسلام عموماً، خلع الكثير من المعاني الإسلامية الجديدة على العديد من الألفاظ، كالإسلام، والإيمان، والكفر، والنفاق، والفسق، والمسلم،

والمؤمن، والكافر، والمنافق، والفاسق، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وهنا نجد أنفسنا وقد أخذنا نتحدث عن الجانبين الآخرين من جوانب الإفصاح عن المعاني مما له علاقة باللفظة المفردة. وهذان الجانبان هما المعنى الاصطلاحي أو الوضعي أو الصناعي. والعلاقة المعنوية في اللغة العربية باعتبارها لغة اشتقاقية بين الاسم والمسمى، بين اللفظ وما وضع اللفظ دليلاً عليه. ونودُّ أن نتحدث عن بعض الألفاظ السابقة من هاتين الزاويتين معاً.

لو أخذنا لفظة المسلم مثلاً لتبيننا أنها من الإسلام بمعنى السلم والاستسلام والسَّلَم بفتحتين هو الاستسلام^{٣٩} يقال: أسلم بمعنى دخل في السَّلَم بفتحتين واستسلم بمعنى انقاد^{٤٠} والمسلم هو الاسم الاصطلاحي عن كل من (شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وقد سمي اتباع الرسل السابقين أجمعين بالمسلمين، لاستسلامهم لله تعالى بالخضوع والاستسلام^{٤١}. وإن العلاقة المعنوية بين اللفظ (المسلم) وبين ما وضع اللفظ دليلاً عليه: (السَّلَم والاستسلام) هي الجسر الذي عبر فوقه اللفظ من المرحلة الأولى اللغوية إلى المرحلة الثانية الاصطلاحية. ويقاس على ذلك الألفاظ الآتية: فالمؤمن من الأمان والإيمان أساساً^{٤٢} والأمان والإيمان التصديق^{٤٣}. والكافر من الكُفْر والكُفْر ضد الإيمان^{٤٥} ولم تكن العرب تعرف من الكُفْر إلا الغطاء والستر^{٤٦} فالكافر الليل المظلم، لأنه ستر بظلمته كل شيء. وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره. قال ابن السكيت ومنه سمي الكافر، لأنه يستر نعم الله تعالى عليه. والكافر الزارع، لأنه يغطي البذر بالتراب^{٤٧}.

٣٨- مختار الصحاح (سلم)

٣٩- نفس المصدر أعلاه.

٤٠- المصدر أعلاه.

٤١- الصاجي في فقه اللغة ص ٨٤.

٤٢- الصاجي ص ٨٣.

٤٣- مختار الصحاح (أمن).

٤٤- الصاجي ص ٨٤.

٤٥- مختار الصحاح (كفر).

٤٦- الصاجي ص ٨٤ ومختار الصحاح (كفر).

٤٧- الصاجي ص ٨٤.

والمنافق اسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه. وكان الأصل من نفاق اليربوع^{٤٨} جاء في القاموس المحيط: والنفاق والنَّفَقَة، كهُمزة، إحدى حِجَرَةِ اليربوع يكتمها ويظهر غيرها. فإذا أُتِيَ من جهة القاصعاء ضرب النفاق برأسه فانتفق. والفاسق من الفسق. ولم يعرف العرب في الفسق إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها. وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه^{٤٩}.

والصلاة في اللغة أساساً الدعاء^{٥٠}. والزكاة في الأصل النماء^{٥١}. والصيام في الأصل الإمساك^{٥٢}. والحج في الأصل القصد^{٥٣}

مما سبق تبين أن بعض الألفاظ تحقق له بوضوح التحول من المرحلة اللغوية إلى المرحلة الاصطلاحية على جسر العلاقة المتينة بين اللفظ وما وضع اللفظ دليلاً عليه كالصلاة والزكاة والصيام والحج. فمن أهم متعلقات الصلاة الدعاء. ومن أهم متعلقات الزكاة النماء والزيادة والبركة. ومن أهم متعلقات الصيام الإمساك. ومن أهم متعلقات الحج القصد إلى بيت الله الحرام. كما تبين أن بعض الألفاظ تحقق له بالإسلام وحدة المعنى الاصطلاحي انطلاقاً من وجه الشبه القوي بين المرحلة اللغوية والمرحلة الاصطلاحية، كلفظة الفسق التي تبيناً بشأنها أساساً خروج الرطبة من القشرة. ويلاحظ أن هذه المرحلة الأولى حسية، وتبيننا بعد ذلك بشأنها الخروج من الطريق المستقيم، ومن هنا جاءت لفظة الفاسق. ويلاحظ أن هذه المرحلة الثانية معنوية. قال ابن الأعرابي: (لم يُسمَعْ قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق. قال: وهذا عجب وهو كلام عربي)^{٥٤}.

٤٨- الصاحبي ص ٨٤.

٤٩- المصدر أعلاه.

٥٠- المصدر نفسه.

٥١- المصدر نفسه ص ٨٦.

٥٢- المصدر أعلاه ص ٨٥.

٥٣- المصدر نفسه ص ٨٦.

٥٤- مختار الصحاح (فسق).

ومن أدلة النماذج على العلاقة بين الاسم والمسمى في اللغة العربية لفظة قارورة التي أطلق عليها هذا الاسم لاستقرار الشراب فيها^{٥٥}. ولفظة القرارة التي أطلقت على الأرض التي يستقر الماء بها. واللطيف أنّ هذه هي صفة الحيّ في مكة المكرمة الذي لا زال يحمل شبيه هذا الاسم (القارة)^{٥٦} وأنّ لفظة يربوع التي مرت بنا أثناء الحديث عن المنافق، تطلق على الفأرة التي بحجرها أربعة أبواب^{٥٧}. وأن لفظة المُصران، إنما أطلقت على هذا الجزء داخل جسد الإنسان لأن الطعام يصير إليه^{٥٨} وأن جملة (تعال) من العلّو. ولكثرة الاستعمال صارت اللفظة بمعنى هَلُمَّ، فيقال تعال بمعنى اهبط^{٥٩}.

يقول الإمام الجرجاني: الكلام على ضربين "ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلتَ (خرج زيد) وبالاتفاق عن عمرو فقلتَ (عمرو منطلق) وعلى هذا القياس^{٦٠} وضربٌ آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجدُ لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.

أولا ترى أنك إذا قلتَ: هو كثير رماد القدر، أو قلتَ: طويل النجاد، أو قلتَ في المرأة: نؤوم الضحى، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماد القدر بأنه مضيف، ومن طويل النجاد، بأنه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة، بأنها مترفة

٥٥- الصاحبي ص ٧٣ هامش رقم (١).

٥٦- وسيد القارة هو (ذو الدغنة) الذي أجاز سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين أراد الهجرة إلى الحبشة مع من هاجر. أنظر مسعود بن عمر التفتازاني، مختصر المعاني، ص ١٥٧، ط ١، مطبعة الباي الحلبي مصر، د، ت.

٥٧- تاج العروس (ربيع).

٥٨- لسان العرب (مصر).

٥٩- الصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٤.

٦٠- الإعجاز للجرجاني، ٣٥٩.

مخدومة، لها من يكفيها أمرها.

وكذلك إذا قال أحدهم: رأيتُ أسداً - وذلك الحال على أنه لم يرد السبع - علمتُ أنه أراد التشبيه إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته.

إن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى آخر، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخرى^{٦١}.

هذا وكلام الإمام كان المنزع لبحث الدلالات، فقد وجد فيه المتأخرون المتكأ الذي أخذ منه دراسة الدلالات، وقبول دلالة وطرح أخرى.

٩. وإغناءً للبحث نقبس هذه الحكاية لنبرهن على صحة ما ذهبنا إليه من أن القرآن الكريم لا يمكن الغناء عنه فلقد نقلت المراجع بأن هناك امرأة عربية اتخذت القرآن الكريم لغة لها يكفيها الإجابة والحوار مع الآخرين:

المتكلمة بالقرآن

قال عبد الله بن المبارك، خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسوادٍ فتميزتُ ذاك، فإذا هي عجوزٌ عليها درعٌ وخمار من صوف. فقلتُ: السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته. فقالت: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾^{٦٢}. قال فقلتُ لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾^{٦٣}. فعلمتُ أنها ضالةٌ عن الطريق فقلتُ لها: أين تُريدن؟ قالت: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^{٦٤}. فعلمتُ أنها قد قضت حجّها وهي تريد بيت المقدس؛ ولما تصل مكانها

٦١ - دلائل الإعجاز ص ١٧٣. عبد القاهر الجرجاني، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦١ م.

٦٢ - سورة يس: ٥٨.

٦٣ - سورة الأعراف: ١٨٦.

٦٤ - سورة الإسراء: ١.

بعد، فقلتُ لها أنتِ منذ كم في هذا الموضع؟ قالت: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^{٦٥}. فقلتُ ما أرى معك طعاماً تأكلين؟ قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾^{٦٦}. فقلتُ بأي شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^{٦٧}. فقلتُ لها إنَّ معي طعاماً، فهل لك في الأكل؟ قالت: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^{٦٨}. فقلتُ ليس هذا شهر رمضان؟ قالت: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^{٦٩}. فقلتُ قد أبيع لنا الإفطار في السفر؟ قالت: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^{٧٠}. فقلتُ لِمَ لا تُكلميني بمثل ما أُكلمك؟ قالت: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^{٧١}. فقلتُ من أي الناس أنتِ؟ قالت: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^{٧٢}. فقلتُ قد أخطأتُ فاجعليني في حلٍّ؟ قالت: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^{٧٣}. فقلتُ هل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾^{٧٤}. قال فأنحنتُ الناقة فقالت: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^{٧٥}. فغضضتُ بصري عنها وقلتُ لها اركبي! فلما أرادتُ أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها، فقالت: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^{٧٦}. فقلتُ لها اصبري حتى أعقلها. قالت: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾^{٧٧}. فعقلتُ الناقة وقلتُ لها اركبي! فركبتُ. يقول عبد الله بن المبارك فأخذتُ زمام

٦٥- سورة مريم: ١٠.

٦٦- سورة الشعراء: ٧٩.

٦٧- سورة المائدة: ٦.

٦٨- سورة البقرة: ١٨٧.

٦٩- سورة البقرة: ١٥٨.

٧٠- سورة البقرة: ١٨٤.

٧١- سورة ق: ١٨.

٧٢- سورة الإسراء: ٣٦.

٧٣- سورة يوسف: ٩٢.

٧٤- سورة البقرة: ١٩٧.

٧٥- سورة النور: ٣٠.

٧٦- سورة الشورى: ٣٠.

٧٧- سورة الأنبياء: ٧٩.

الناقة وجعلتُ أسرع وأصبح فقالت: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^{٧٨}. فجعلتُ أمشي رويداً وأترنم بالشعر فقالت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^{٧٩}. فقلتُ لها: لقد أوتيتُ خيراً كثيراً. قالت: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^{٨٠}. فلما مشيتُ بها قليلاً قلتُ أ لك زوج؟ قالت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ﴾^{٨١}. فسكتُ ولم أكلمها حتى أدركتُ بها القافلة فقلتُ لها هذه القافلة فمن لك منها؟ قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^{٨٢}. فعلمتُ أن لها أولاداً فقلتُ: وما شأنهم في الحج؟ قالت: ﴿وَعَلَّمَنِي وَإِلَنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^{٨٣}. فعلمتُ أنهم أدلاء الركب فقصدتُ بها القباب والعمارات فقلتُ هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^{٨٤}. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^{٨٥}. ﴿يَسِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^{٨٦}. فناديتُ: يا إبراهيم يا موسى يا يحيى! فإذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت: ﴿فَاتَّبَعُونَا أَحَدَكُمْ يَوْرَقُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾^{٨٧}. فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^{٨٨}. فقلت: الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها! فقالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم نتكلم إلا بالقرآن مخافة أن نزل فيسخط عليها الرحمن سبحانه القادر على ما يشاء. فقلتُ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^{٨٩}. وهذه القصة مقتبسة من كتاب جواهر الأدب^{٩٠}.

٧٨- سورة لقمان: ١٩.
٧٩- سورة المزمل: ٢٠.
٨٠- سورة البقرة: ٢٦٩.
٨١- سورة المائدة: ١٠١.
٨٢- سورة الكهف: ٤٦.
٨٣- سورة النحل: ١٦.
٨٤- سورة النساء: ١٢٥.
٨٥- سورة النساء: ١٦٤.
٨٦- سورة مريم: ١٢.
٨٧- سورة الكهف رقم الآية ١٩.
٨٨- سورة الحاقة رقم الآية ٢٤.
٨٩- سورة الحديد رقم الآية ٢١.
٩٠- سيد أحمد الهاشمي المصري، كتاب جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ٤٠٤ - ٤٠٦، قرضت على طبعة مشيخة الأزهر الشريف الناشر دار الفكر لبنان.

الخاتمة

لقد صورت المقالة فضل القرآن الكريم على العربية من خلال الفضيلة البيانية الذي نزل القرآن الكريم بها على العرب الذين هم مادة الإسلام وحملته إلى الدنيا، ولقد أشاع القرآن الكريم لغة العرب في أرجاء واسعة من العالم حيث صار يتكلم بها من دخل الإسلام، وأصبحت اللغة العربية للمسلمين من غير العرب لغة إضافية إلى لغتهم الأم، يتكلمون بها ويكتبونها.

وأفادت المقالة أن الإسلام يعتبر شراع تلك اللغة الشريفة، فاللغة سفينة، وبفضل القرآن الكريم خرجت العربية إلى دائرة ومحيط أوسع من الدائرة العربية الضيقة. كما أثبتت المقالة أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأول ودستورها الخالد الذي حفظ أصولها وقواعدها وآدابها ولقد انفرد القرآن الكريم بأمرين بارزين أولهما أن معجزته هي الكلمة التي يعرف الناس مدلولها وأن الإعجاز سرٌّ مضمَّرٌ فيها، تهتدي إليه العقول السليمة. وثانيهما أن القرآن الكريم قد تولى بكلماته تلك الدفاع عن دعوته وإقامة الحجة لها. وبفضل القرآن الكريم أيضاً أبقى على روعتها وخلودها فبعد أن كانت لقومٍ رحلٍ وبدوٍ جفاةٍ أصبحت بفضل القرآن لغة الدين والحياة.

وأبرزت المقالة دور القرآن الكريم الفعّال حتى أن نصوصه الغنيّة بالأساليب جعلت امرأة عربية لا تتكلم مع الناس إلا بالآيات القرآنية مما يدلّ على إمكانية الغناء بالقرآن عن غيره حتى في الأحاديث اليومية الدارجة وفي المعاملات العامة وأنه يوسع إدراك الإنسان ويعطيه الحكمة وفصل الخطاب.

ولقد أفاد العرب من القرآن الكريم أيّما فائدة فلو أنهم لم يجتمعوا على لغة القرآن الكريم في أول أمرهم لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بدٌ بسبب نشر الدعوة، حتى يصير مستقبل اللغة العربية إلى الإنقراض والعفاء من غير شك ولا ريب. مع الإشارة إلى أن أي لغة من اللغات لا تحيا ولا تموت إلا بحسب اتصالها بمادة

العلم.

والذي لخصته المقالة يمكن بسطه وكتابته على شكل مسلسل يغنيه الباحثون من أهل العلم والاختصاص.

المصادر والمراجع

- أحمد بن فارس، الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمى، دار الفكر بيروت، سنة الطبع ١٩٦٣م.
- محمد زغلول سلام، أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى إلى آخر القرن الرابع الهجرى، دار المعارف بمصر، د، ت.
- الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعرفة بيروت، د، ت.
- الرامهرمزي، أمثال الحديث المروية عن النبي، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام، الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٩هـ.
- محمد جابر فياض العلوانى، الأمثال النبوية دراسة تحليلية، مكتبة المؤيد الرياض ط ١ ١٩٩٣م.
- عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار الفكر العربى مصر ١٩٦٤م.
- صحيح مسلم، الناشر دار إحياء التراث العربى بيروت، د، ت.
- إبراهيم بيومى مذكور، فى اللغة والأدب، مجلة اقرأ العدد ٣٣٧ لسنة ١٩٧١م.
- تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، القاهرة ط ١ ١٩٩٣م.
- عبد القاهر الجرجانى، أسرار البلاغة، ط ٦ بتحقيق الأستاذ محمد رشيد رضا، القاهرة ١٩٥٩م.

- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة القاهرة ١٩٦١م.
- الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، د، ت.
- أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العلمية، لبنان، د، ت.
- مسعود بن عمر التفتازي، مختصر المعاني، ط١، الحلبي، مصر د، ت.
- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر، لبنان، د، ت.
- أبو الفتح، عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الهدى بيروت، د، ت.
- ابن خلدون، المقدمة، تصحيح نصر الهوريني، القاهرة بولاق، ١٣٤٧هـ.
- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، البدء والتاريخ، باريس ١٨٩٩م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، ط٢، د، ت.
- محمد طاهر عبد القادر الخطاط، تاريخ الخط العربي، المطبعة الرحمانية مصر، ١٩٢٩م.
- سعد الله عويضة، الخط العربي، مطبعة الشمام، لبنان ١٩٦٩م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، ١٩٦٥م.
- الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٧٧م.